المبحث الرابع عشر:

المخاطر التي تهدد الإبداع.

كما نعلم بأن إبداع الشعوب يتعرض تاريخياً لنزف مقصود خطير تحدثه قوى معلومة تتمثل في الاستعمار بمختلف أشكاله ومن قوى مجهولة تعمل في الخفاء، ضمن خطة بعيد المدى تستهدف بعض الأمم والمناطق، ذات الخصائص المطموع بالحصول عليها أو السيطرة على جذورها، ويمكننا في هذا الجانب أن نسمي بعض هذه القوى فيما يلي :

البند الأول: قراصنة الحضارات.

وتنظم هؤلاء القراصنة مؤسسات إقليمية ودولية تعمل على تنفيذ هذه القرصنة من خلال مخططات وأساليب معروفة وخفية توصلها الى غاياتها وقد أتاحت فترات الاستعمار، ولا زالت البيئة الخصبة لهذه القرصنة والغايات العنصرية، وللتوضيح نشير إلى صور الأساليب التالية:

أولا - من هذه الأساليب:

أ -البحث عن المخطوطات ذات القيمة العلمية، والحضارية وسرقتها من أرضها وشعبها وإخفائها ردحاً من الزمن لإظهارها في وقت لاحق، تختارها هذه القوى لوضعها في خدمة مصالحها.

ب - سرقة الآثار من أماكن وجودها وولادتها، لتضييع معالم الماضي والجذور التي تنتمي إليها هذه الآثار بغية السطو على الأرض والعرض والمقدرات في مراحل تحققها لاحقاً، من قبل قوى دولية أو إقليمية تمتلك المال وقد لا تمتلك التاريخ.

obeikandl.com

ج -سرقة "ثروات من ذهب وفضة وفوسفات وبترول وغاز...الخ"، وذلك من خلال أدوات تعمل لصالح قوى استعمارية طامعة طامحة في السيطرة والاستعمار على الشعوب ومقدراتها.

د - العمل على إطالة زمن الجهل والفقر لدى الشعوب، وبخاصة تلك التي تمتلك ثروات طائلة بغية إغراق نوابغها وإبقائها في حالة من الجهل والضياع وفقدان البوصلة.

البند الثاني: البنية التحتية والقيادية للقرصنة.

وعلينا هنا أن نبقي مضمون الفقرة (د) السابقة نصب أعيننا وفكرنا، لآن هذا التوجه يتولى تنفيذه جهات عدة نشير الى بعضها فيما يلي يأتي في مقدمتها :

- الاستعمار والاستيطان على مختلف اشكاله ومذاهبه، بالإضافة للشركات عابرة القارات والشركات متعددة الجنسيات.

إن هذه الجهات المشار إليها أعلاه، تقوم بما يلي:

- اقتناص الأدمغة وسرقتها وتوظيفها وإغرائها، وهي الظاهرة التي أطلقوا عليها" هجرة الأدمغة".
- إغراء الأدمغة وتوظيفها، واستغلالها لصالح مخططاتها القريبة والبعيدة .
- الحكومات الرجعية العميلة التي تعمل على إبقاء شعوبها في حالة تخلف وفقر، والتي تعمل على سبر واقع النبوغ البشري بين أبنائها كي يتم تسخيرهم وتهجيرهم إلى حيث تريد القوى الاستعمارية أو شركاتها.

حينما أشير إلى ما تقدم في هذا المبحث، فلأنني أؤمن بأن الماضي والتاريخ يحفز الشعوب في حاضرها ومستقبلها، لأن المضيئات في ماضيها ينبوع يتجدد، إبداعات ذات دلالات عظيمة في عقول مبدعيها المعاصرين، عبر أجيال تربط هذا الماضي بالحاضر وبالمستقبل.

هذه الإبداعات التي تأخذ سماتها من الحاضر ومتطلباته (ومن الماضي وإنجازاته وعبره) لأن الحاضر في هذه الحال، يتكئ على ثراء مزدوج يتمثل في تلبية الحاجات المركبة التي تواجهه، وبإرث الماضي الذي يتيح لمبدعيه القياس عليه والتحقق منه للوصول إلى الأفضل.

وبما أن ماضي الأمم جزء من واقعها كما أشرنا سابقاً، فإنه ينعكس بومضاته الإيجابية وحتى السلبية على الحاضر، هذه الومضات التي تشكل حوافز تبعث حيوية ملموسة وغير ملموسة في بيئة المبدعين مما يسهم في خلق تفاعل فكري ومادي و كيميائي خلاق، لابد من أن يحقق نتائجه المأمولة.

رب ضارة نافعة:

المثال الذي أراه يخدم الابداع بشكل خاص وفكرة الابداع الجمعي بشكل عام، ويجسده بالذات هو الحال الذي تعيشه جمهورية إيران الإسلامية حالياً، ومقارنتها بالحال الذي كانت تعيشه في مرحلة سابقة حينما كانت تشكل قاعدة للغرب الاستعماري، وتشكل خطراً داهماً جاهزاً ضد شعبها وضد حيرانها وأشقائها، وهزيمة العرب في عام 1967 تشهد على ذلك من خلال الطيران الذي كان يقصف الأرض العربية من أراضيها وقواعدها، وكانت آنذاك دولة تابعة لاهثة معتمدة متكلة على غيرها نظاماً وشعباً مرغماً، وبعد ثورتها عام 1979، بقيادة المغفور له الخميني، ناصبها العداء عدد من دول تحيط بها، والغرب الذي تضررت مصالحه نتيجة هذه الثورة، الأمر الذي دعا هذا الغرب لكي يلجأ إلى محاربتها بكافة السبل (الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية بل فرض عليها عقوبات صارمة في جميع المجالات الحياتية).

الامر الذي دعا شعبها وقادتها، إلى البحث عن بدائل الشعوب الحرة المتطلعة إلى غدها المنشود على كافة الأصعدة، وها هي اليوم ورغم ما عانت ورغم ما واجهت ورغم ما صبرت، استطاعت أن تنتفض من تحت رمادهم وعقوباتهم، دولة عصرية

obeikandl.com

مكتفية ذاتياً في كل مجال وعلى كل حدب وصوب، لتصبح رغما عن الجميع (العدو والصديق) دولة مركزية إقليمية، بل دولة نووية ترفض مسار الدول النووية التدميري وتتبنى المسار الحضاري الإنساني.

إن ذلك كله جاء نتيجة {فعل إبداعي جمعي داخلي خلاق} وبسبب حاجات حقيقية تعتور الواقع ويطلبها الشعب، وجاء نتيجة نبوغ أبنائها وعون أصدقائها واشقائها، فكان لها ما أرادت عندما انبرى الشعب لكي يبدع كل في حقله، ولينبري علماؤها ليبتكرو ويجددو، ويبعثو الذي كان مستحيلاً، إلى حقائق ملموسة في البر والبحر والفضاء، وفي كل حدب وصوب من حياة الشعب الإيراني الصديق وواقعه المتغير المتجدد.

❖ البند الثالث: تنبيه هام لكل من يهمه الإبداع:

إن هذا التنبيه يخصنا جميعاً، لأنه يتصل بالواقع الذي نعيشه وبخاصة في الشرائح العلمية والمثقفة من مجتمعنا العربي، ويخص هذا التنبيه التناقض الخطير الذي قد يؤدي بكل ما نخطط له في مجال الإبداع، إن لم يتم اتخاذ بل وضع الخطة الناجعة المتسمة بالعلمية والموضوعية والدقة، ونقول ذلك لسببين:

❖السبب الأول. الشرائح العلمية الواردة.

إن الشرائح العملية والمثقفة الواردة من الخارج، إلى الداخل من أبناء الأمة الذين انتشروا في العالم لينهلوا من مختلف العلوم ـ تلك المناهل التي يختلف بعضها عن بعض، وهي بقدر ما قد تغني البيئة الإبداعية، وقد تكون مفيدة بعد عودة أصحابها إلى أرض الوطن، بقدر ماهي خطيرة بسبب التباين والتناقض الذي قد يتكون، وهذا يستلزم وضع العوامل والأسس التي تحصن الشخصية المبدعة العربية التي تبنى بحيث لا يؤثر على السمات المخطط لتتسم بها .

❖السبب الثاني. الشرائح العلمية الصادرة.

obeikandi.com

العقول العلمية الصادرة من داخل الوطن إلى مختلف أنحاء العالم وبخاصة تلك ، التي تصل إلى مواقع "الإبداع النوعي " في البلدان التي يدرسون فيها أو يصلون إليها ، هذه الحقيقة التي تستلزم أيضا وضع الخطة الكفيلة بالوصول إلى هذه العقول، التي قد تُغرى وتُوظف في غير أرضها ولغير إنسانها.

obeikandl.com